مفهوم المحددات في اللسانيات الاجتماعية

الباحثة/ الشيماء شعبان عمران

إن العلاقة القائمة بين اللغة والمجتمع تكتسب أهمية كبيرة ضمن مسار الفكر اللساني المعاصر، حيث تضافرت جهود حثيثة مع نهاية الستينات وبداية السبعينات، في محاولة جادة لإرساء دعائم أساسية جديدة من علوم اللسانيات تهتم بدراسة الوقائع اللغوية في أشكالها المتنوعة، أطلق عليها علم اللسانيات الاجتماعية.

حيث "كان التمييز الذي وضعته بعض الاتجاهات اللسانية بين(اللغة) Langue و(الكلام) Parole, أو بين (الشفرة) Cod و(الرسالة) Message. أو بين (الكفاءة) Competence و(الأداء) Performance أمرًا يوحي – للنظرة الأولي– بأنه يربط بين اللسانيات وعلم الاجتماع"[١] .

ولكن للارتباط الشديد بين اللغة والمجتمع ظهر علم يدرس اللغة في إطاره الاجتماعي. فقد "يندرج ويندمج علم اللسانيات الاجتماعية مع اللسانيات بمفهومها الشمولي، حيث تهتم في المقام الأول بالوظائف اللسانية التي لها صلة فقط بالتطبيقات داخل المجتمع. فعالم اللسانيات يهتم بما يوافق علم اللسانيات الاجتماعية من معرفة حول اللغة المستخدمة في عملية الاتصال داخل الروابط الاجتماعية وما يرتبط بها من أمثلة السلوك اللغوي ووظائف عملية الاتصال. أيضًا عالم اللسانيات يستهدف اكتشاف ووصف العوامل والأبنية اللغوية والعمليات التي تجعل اللغة المستخدمة كأداة لعملية الاتصال، فهو بهذا يميل إلى دراسة الكيفية التي يستخدم بها الناس قواعد لغتهم والأغراض التي تستخدم فيها، وما يطرأ عليها من تغيرات، وما يصاحب تلك التغيرات من أخطاء لغوية "٢.

تعتبر اللغة سلوكًا اجتماعيًا يعبر به كل قوم عن أغراضهم المتعددة؛ بهدف التواصل بين بعضهم البعض. "فاللغة سلوك اجتماعي، ولا يمكن لأي لغة أن تحيى إلا

---

[١] محي الدين عثمان محسب– في اللسانيات الاجتماعية ترجمات، ودراسات، ومقالات – دار كنوز للنشر ٢٠١٧ م صـ١٧.

[٢] عز الدين صحراوي – اللغة بين اللسانيات واللسانيات الاجتماعية –قسم اللغة العربية وآدابها – كلية الآداب والعلوم الاجتماعية – جامعة محمد خضير بسكرة – العدد الخامس ٢٠٠٤ م .

في ظل مجتمع إنساني"١، وهذه الحقيقة عبر عنها فندريس بقوله: "في أحضان المجتمع تكونت اللغة ووجدت أحسن الناس بالحاجة إلى التفاهم وفيما بينهم". وقد ظهرت تيارات فكرية علمية حديثة تبحث في علم اللغة بعلاقتها مع المجتمع، وذلك كعلم الاجتماع اللغوي أو (علم اللغة الاجتماعي) Socilinquitics ويعد هذا العلم فرعًا من فروع علم اللغة العام أو علم اللسانيات، "فهو يهتم بدراسة اللغة في علاقتها بالمجتمع؛ لأنه ينظم كل جوانب بنية اللغة وطرائق استعمالها التي ترتبط بوظائفها الاجتماعية والثقافية وليس المقصود بهذا العلم أنه تركيبة أو توليفة من علمي علم اللغة والاجتماع، أو أنه مزيج منهما أو تجميع لقضاياهما ومسائلهما، وإنما هو الذي يبحث عن الكيفية التي تتفاعل بها اللغة مع المجتمع"٢. فالعلاقة بين اللغة وعلم الاجتماع علاقة مساندة ومعاونة "وسبب ذلك يرجع إلى أنه لكي يحدد علماء الاجتماع اللغة والتنوعات الكلامية فإنهم في حاجة لمعاونة اللسانيين. وبالمثل فإن اللسانين يحتاجون إلى علماء الاجتماع في إدراك تلك العوامل الاجتماعية التي تؤثر على الظواهر اللغوية"٣.

إذًا علم اللسانيات الاجتماعية يدرك اللغة في علاقتها مع الأفراد، فلا يمكن لعلم اللسانيات الاجتماعية دراسة اللغة في معزل عن المجتمع .

فاللغة والسلوك الاجتماعي لغة تسود الحياة الاجتماعية. وهو الأداة الرئيسة لنقل المعرفة الثقافية، والوسيلة الأساسية التي يمكننا الوصول إلى محتويات عقول الآخرين. فاللغة تكمن في معظم ظواهر علم النفس الاجتماعي نحو: تغيير الموقف، والإدراك الاجتماعي والهوية الشخصية، والتفاعل الاجتماعي، والتحيز بين المجموعات والقوالب النمطية، الإسناد..إلخ. وعلاوة على ذلك، لعلم النفس الاجتماعي، واللغة عادةً هي الوسيلة التي يتم من خلالها التواصل والاستجابة، واللغة تلعب دورًا في كل من التحفيز والاستجابة لها٤.

---

[١] فندريس – اللغة – تعريب:عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص – مكتبة الأنجلو المصرية– مطبعة لجنة البيان العربي أنظر: اتجاهات نظرية في علم اللغة – تأليف د: عبد الباسط عبد المعطي – عالم المعرفة ٤٤، صـ٣.

[٢] كمال بشر – علم اللغة الاجتماعي – دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع – مصر – صـ ٤٧ .

٣ في اللسانيات الاجتماعية ترجمات، ودراسات، ومقالات صـ ٣١.

[٣] M. Krauss and Chi–Yue Chiu Columb – Language and Social Behavior Robert ia University and The University of Hong–Kong – p٢

الاجتماعي لغة :

كلمة الاجتماعي في مقاييس اللغة " "الجيم والميم والعين أصل واحد ، يدل على تضام الشيء، يقال جمعت الشيء جمعًا، والجماع الأشابة من قبائل شتي"١. "وفلان جماع لبني فلان؛ يأوون إليه ويعتمدون على رأيه"٢، وهذا يدل على الإجماع على الشيء والاعتماد على ذلك من خلال الجماعة الواحدة. وسميت الجمعة: لاجتماع الناس فيها "٣ الجمع ضم الشيء بتقريب بعضه من بعض، يقال جمعته فاجتمع، قال الله تعالى"إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ"(النور:٦٢) أي أن هناك أمر خطير اجتمع له الناس ، فكان الأمر جمعهم. وقال تعالى :"إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ"(هود:١٠٣) أي أن الناس قد جمعوا. وقوله تعالى:"يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ" (التغابن :٩), يقال للمجموع: الجمع، والجماعة.

جاء في معجم مفاتيح العلوم الإنسانية للدكتور: خليل أحمد خليل: لسانة ناسية أو ناسية لسانية٤، كما هو واضح من التعريف، أنه تخصص علمي يجمع كل من: علم اللسانيات، وعلم الاجتماع .

فاللغة هي وسيلة للاتصال بين الأفراد وظاهرة اجتماعية. واللغويات الاجتماعية – تهدف إلى إظهار كيف يخضع استخدامنا للغة لعوامل مثل الطبقة والجنس والعرق٥.

تعريفات لعلم اللغة الاجتماعي :

يعرف هلبش علم اللغة الاجتماعي بأنه "يبحث العلاقات الاجتماعية للطبقات والمراحل والوحدات الجزئية اللغوية، ووضع وسائل التواصل المختلفة ووظائفها في

١أبو الحسين أحمد بن فارس زكريا – مقاييس اللغة – المحقق: عبد السلام محمد هارون– الناشر: دار الفكر – ١٩٧٩م ج ١ ، صـ٤٨٠ .

٢إبراهيم مصطفى وآخرون – المعجم الوسيط –دار الدعوة – تحقيق مجمع اللغة العربية –ج١ ، ط ٤– ٢٠٠٤م–صـ١٣٥.

٣تقي الدين أبي بكر بن محمد الحسيني الحصيني الدمشقي الشافعي – كفاية الأخيار في حل غاية الاختصار – تحقيق كامل محمد عويضة – دار الكتب العلمية – ط١ – ١٩٩٤ م – صـ ١٤١ .

٤ محاضرات في اللسانيات الاجتماعية – لطفي بوقرة – معهد الأدب واللغة – جامعة بشار – الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية (هي مجموعة محاضرات ألقاها الأستاذ لطفي بوقرة على طلبة السنة الثانية لمعهد الأدب التابع للمركز الجامعي بشار سابقًا في السنة الجامعية ٢٠٠٣:٢٠٠٣ م) صـ ١.

٥Raymond Hickey– Language and Society – Ibid p . ١

الجماعة اللغوية، ودراسات الفعل اللغوي، ومسائل الازدواجية اللغوية، والثنائية اللغوية، والتعددية اللغوية، والتخطيط اللغوي, والسياسة اللغوية"١.

واللسانيات الاجتماعية تدرس العلاقات بين اللغة والأفراد من جهة، وبينهما وبين المعطيات الاجتماعية، كأن تدرس العلاقة ما بين اختيار الفرد لنمط محدد من الاتصال، والوضعية الاجتماعية التي يوجد فيها الفرد. فاللغويات الاجتماعية: وهو مصطلح يشير إلى دراسة العلاقة بين اللغة والمجتمع٢.

اللغويات الاجتماعية تهتم بمعرفة لماذا يتحدث الناس؟ في سياقات اجتماعية مختلفة. وتأثير العوامل الاجتماعية مثل (المسافة الاجتماعية، والحالة الاجتماعية والعمر والجنس والطبقة) على أصناف اللغة (اللهجات، والسجلات، والأنواع، وما إلى ذلك)، وأنها المعنية مع تحديد الوظائف الاجتماعية للغة وعلى ما هي تستخدم للتعبير عن المعاني الاجتماعية٣.

ويعرفه فيشمان FISHMAN بأنه "علم يبحث التفاعل بين جانبي السلوك الإنساني استعمال اللغة والتنظيم الاجتماعية للسلوك"٤. في محاولة منه الإحاطة بكل ما له صلة باللغة والمجتمع فيعني "بالمتكلم واللغة التي يستعملها, والمتكلم إليه، وزمن التكلم، وما ينتهي إليه الكلام "٥. فكان اهتمامه باللغة نابعًا من اعتبارها من بين " الظواهر الاجتماعي... تتأثر بكل هذه الظواهر الاجتماعية تأثرًا كبيرًا"٦.

فيحاول الكشف عن العلاقة بين اللغة والحياة الاجتماعية وأثر الحياة الاجتماعية في الظواهر اللغوية. أما محمد الخولي فقد عرفه بأنه: "فرع من علم اللغة التطبيقي يدرس مشكلات اللهجات الجغرافية واللهجات الاجتماعية والازدواج اللغوي والتأثير

---

[٣] جرهارد هلبش– تطور علم اللغة منذ ١٩٧٠– ترجمة د:سعيد حسن بحيري – مكتبة زهراء الشرق – القاهرة – ٢٠٠٧م . صـ٣٥٩.

٤ (Janet Holmes)– An Introduction to Sociolinguistics Chapter One: What do sociolinguists study? P . ١ .

٥ (Janet Holmes) An Introduction to Sociolinguistics Chapter One: What do sociolinguists study? P. ١.

[٦] Fishman .j . A : the socioiogy of language . IN . society ROWLEY . New buvy Houuse . ١٩٧٢ p ١

[١] Idid . p٤٦.

[٦] رمضان عبد التواب – المدخل إلى علم اللغة – مكتبة الخانجي – القاهرة ١٩٨٥ م – صـ ١٢٨ :١٢٩ .

المتبادل بين اللغة والمجتمع"[1]. وبهذا حدد لعلم اللغة الاجتماعي محدداته الواجب العمل فيه، وأوضح تخصصاته، وعلاقته بالمجتمع.

ولم يكتف بهذا بل تجاوزها إلى دراسة الأنماط والطرائق التي تمكن اللغة من التفاعل مع المجتمع بوصفها "نتاج علاقة اجتماعية أو نشاط اجتماعي ووسيلة يستخدمها المجتمع في نقل ثقافته من فرد لفرد ومن جيل لجيل، كما تعد من أوضح سمات الانتماء الاجتماعي للفرد"[2].

لقد كان الدافع وراء تطوير علم اللسانيات الاجتماعية يكمن في أهمية هذه العلاقة بين اللغة والمجتمع حيث يهتم الباحث في اللسانيات بما يوافق علم اللسانيات الاجتماعية من معرفة حول المستويات اللغوية المستعملة في المواقف التواصلية في إطار الروابط الاجتماعية.

نشأة اللسانيات الاجتماعية :

موضوع اللسانيات اللغة، على أساس أنها مجموعة من الأنساق الداخلية، وعلم الاجتماع اللساني يحاول معرفة كيف تستخدم؟ ومتى تستخدم؟ ومعني هذا أن اللغة محور اهتمام من المجالين اللسانيات وعلم الاجتماع اللساني.

لم نعد ننظر إلى اللغة بأنها أداة تحقق التفاهم والتواصل لأفراد الجماعة اللسانية، بل ننظر إليها أنها حلقة في سلسة النشاطات المنظمة، وتتسم بالمرونة والاستجابة لكل ما يحدث في المجتمع من تغيرات، بعد فهم حركية المجتمع إذا تجاوزنا حدود اللغة بوصفها أداة اتصال تتكيف مع حاجات أولئك الذين يستعملونها وهي انعكاس للذاكرة الجماعية بكل مقوماتها. إن هذه العلاقة القائمة بين اللغة والمجتمع تكتسب أهمية كبيرة ضمن مسار الفكر اللساني المعاصر، حيث تضافرت جهود حثيثة مع نهاية الستينيات وبداية السبعينيات، في محاولة جادة لإرساء دعائم أساسية لفرع جديد من علوم اللسانيات يهتم بدراسة الواقع اللغوي في أشكاله المتنوعة أطلق عليه علم اللسانيات الاجتماعية La sciolinguistique أو La linguistiquesociale ولقد كان الدافع من وراء تطوير علم اللسانيات الاجتماعية يكمن وراء أهمية العلاقة بين اللغة

[1] محمد على الخولي – معجم علم اللغة النظري – مكتبة لبنان بيروت ١٩٨٢ م – صـ ٢٦١ .

[2] عبدالله سويد – علم اللغة – دار المدينة القديمة – طرابلس – ليبيا – ١٩٩٣ م – صـ ٤٤ .

والمجتمع "فاللغة استعمالات متنوعة: فهي وسيلة تعبير اجتماعية هذه الاستعمالات المختلفة ومعرفة أبعاد التكيف اللغوي مع مختلف الأغراض والمواقف "١.

وقد نشأت اللسانيات الاجتماعية في ظل إن شغال العالم السويسري فرديناند دو سوسير بوضع قواعد اللسانيات البنيوية التي تعني بالبنيات الداخلية للغة. أيضًا نشأة اللسانيات الاجتماعية في ظل إلحاح العالم الفرنسي أنطوان ماييه في بحوثه اللسانية على الصلة الرابطة بين اللغة والمجتمع. وتأثره بنظريات عالم الاجتماع الفرنسي دور كايم. على الرغم من اطروحات أنطوان ماييه، فإنها لم تجد أدني اهتمام من علماء اللسانيات. وظلت مهملة حتى علماء اللسانيات الماركسية، وعلماء اللسانيات الاجتماعية الأمريكية. وكان التحول الكبير للسانيات الاجتماعية على يد المدرسة البنيوية التوليدية في الولايات المتحدة الأمريكية وكانت الخطوة الحاسمة من الناحية النظرية والمنهجية في نشأة اللسانيات الاجتماعية هي أبحاث اللساني الأمريكي وليام لابوف حيث ضبط لابوف دراسته في حيز جغرافي محدد وضح فيه أثر العوامل اللسانية على الوقائع اللسانية في دراسة ميدانية.

لعلم الاجتماع دور مهم في المجتمع فتتبع أهمية علم الاجتماع" من دوره في حل كثير من مشكلات التعليم، والعلاقات الاجتماعية في المجتمعات المتقدمة، لما للغة من دور فاعل في الإفصاح عن العلاقات الاجتماعية والثقافة للمجتمع. بل لعلها الوسيلة الوحيدة للإفصاح عن هذه القيم، وتلك العلاقات زيادة على كونها القناة التي يتعلم بها الأفراد معارفهم ويبنون بواسطتها شخصياتهم، ويحققون نجاحاتهم العلمية والعملية "٢.

تاريخ اللسانيات الاجتماعية:

في أوائل القرن العشرين أخذ الدرس اللغوي ينحو منحًا جديدًا، وذلك بدراسة اللغة في هدى الحياة الاجتماعية عن طريق معرفة الأثر الفاعل الذي تؤديه اللغة في تشكيل المجتمع، "وقد تنبه اللغويون إلى مثل هذه البحوث بعد أن رأوا الدراسات التي تقوم به المدرسة الاجتماعية الفرنسية التي أنشأها أميل كايم (١٨٥٨-١٩١٧) في أوائل القرن العشرين وأنضم إليهم كثير من علماء اللغة في فرنسا وألمانيا وانجلترا وسويسرا

[١] مصطفى لطفي – اللغة العربية في إطارها الاجتماعي –معهد الإنماء العربي بيروت ١٩٧٦ م – صـ ٤٤ .

[٢] هادي نهر – علم اللغة الاجتماعي عند العرب –ساعدت الجامعة المستنصرية على طبعتـة – الطبعـة الأولـى – ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م – صـ٤٥٣ .

وكثير من أساتذة الجامعات في أوربا وأمريكا ... وبذلك أصبحت بحوث المدرسة الاجتماعية الفرنسية أساسًا للبحوث اللغوية في كثير من الأحيان، إذ طبقت نظريات علم الاجتماع العام على علم اللغة، وحاول الباحثون أن يبينوا أثر المجتمع ونظمه وحضاراته المختلفة في الظواهر اللغوية باعتبار أن الإنسان كائن اجتماعي أولًا"١. ونتيجة الصلة التي تربط اللغة بالمجتمع كما بينا ظهر ما يسمي بـــ (علم اللغة الاجتماعي) الذي يعد وسيلة لدراسة اللغة عن طريق علاقتها بالمجتمع .

تاريخ علم الاجتماع :

اجتمعت عدة آراء تحاول البحث في تاريخ علم الاجتماع ونحاول رصدها من خلال بداية البحث في الاتصال اللغوي بعلوم المجتمع، في أوائل الستينيات من القرن التاسع عشر أخذ الدرس اللغوي الحديث ينحو منحًا جديدًا، بعد دعوة مالينوفسكي سنة١٩٢٠م بضرورة البحث في نظرية تجمع بين اللغة والأنثرجرافيا، فظهر أولا علم اللغة الإنثرجرافي أواخر الأربعينيات، ثم علم اللغة النفسي أوائل الخمسينيات، فلحقه علم اللغة الاجتماعي٢. يشير أيضًا د: محمد حسن عبد العزيز أن علم اللغة الاجتماعي" ينتمي إلى فترة الستينات"٣، يقصد ستينات القرن العشرين؛ إذن يعتبر علم اللغة الاجتماعي وليد القرن العشرين، ومهما اختلف حول جذوره بين الباحثين فإنه قد أتي نتيجة فهم الجانب الاجتماعي للغة، وكذلك لأثر الجماعة في لغتنا، وهذا لم يكن ليأتي إلا بفهم العلاقات الاجتماعية القائمة داخل أي مجتمع، وهذا يأتي نتيجة الاحتكاك بعلم الاجتماع"٤.

دراسة اللغة والمجتمع – اللغويات الاجتماعية – يمكن تأريخها إلى حوالي منتصف القرن العشرين. قبل ذلك كان هناك من الكتاب الذين علقوا على الكيفية التي أثرت في استخدام اللغة أو تسترشد العوامل ذات الصلة اجتماعيا، فالكيفية التي بها استعمال اللغة أثرت بها – وفي الحقيقة تأثرت– العوامل الاجتماعية ذات الصلة، مثل: الطبقة، والمهنة، والسن، والنوع. وفي الحقيقة فإن أبا اللسانيات الحديثة دو– سوسير

---

[1] محمود سليمان ياقوت – منهج البحث اللغوي – دار المعرفة الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع – ٢٠١١ صـــ١٦١:١٦٠.

[2] عبده الراجحي – اللغة وعلوم المجتمع –١٤٣١ هـــ / ٢٠١٠ م م – قرأه واعتني به : محمود عبد الـــصمد الجيـــار – الناشـــر دار الصحابة للتراث بطنطا– صـــ ٩ .

[3] محمد حسن عبد العزيز – علم اللغة الاجتماعي – مكتبة الآداب – القاهرة – ٢٠٠٩ م – صـــ١٠ .

[4] عبد المنعم السيد أحمد جدامي – رؤى اللغويين لجذور علم اللغة الاجتماعي عرض وتحليل –بحث منشور –صـــ٢٧٩ .

(١٨٥٧ – ١٩١٣) رأيان اللغة نمط من السلوك الاجتماعي. وفي هذا فهو يعكس التفكير السوسيولوجي الفرنسي لعصره بخاصة معاصرة إميل دور كايم (١٨٥٨ – ١٩١٧) غير أن جملة من المبادئ الموضوعة المستقلة وباختصار منهجية مختصة بالعوامل الاجتماعية في استعمال اللغة لم تكن متوفرة إلا في بعض العقود التي تلت بنيوية دو سوسير١.

الاختلافات بين علم اللغة الاجتماعي وعلم الاجتماع اللغوي :

أولًا: يعد علم اللغة الاجتماعي فرعًا من فروع علم اللغة العام أو علم اللسانيات "فهو يهتم بدراسة اللغة في علاقتها بالمجتمع؛ لأنه ينظم كل جوانب بنية اللغة وطرائق استعمالها التي ترتبط بوظائفها الاجتماعية والثقافية وليس المقصود بهذا العلم أنه تركيبة أو توليفة من علمي علم اللغة وعلم الاجتماع، أو أنه مزيج منهما أو تجميع لقضاياهما ومسائلهما، إنما هو الذي يبحث عن الكيفية التي تتفاعل بها اللغة مع المجتمع"٢.

من المسميات التي تطلق على علم اللغة الاجتماعي "أولًا: يسمي علم اللغة الاجتماعي Socio linguistics ويطلق عليه أيضًا علم الاجتماع اللغوي Sociology of language

ثانيًا: ليس الاختلاف في العناصر، وإنما الاختلاف يتمركز في محور الاهتمام. ويستند ذلك للأهمية التي يوليها الدارس للغة أم يوليها إلى المجتمع، وإلى مدى مهارته في تحليل البنية اللغوية أو الاجتماعية"٣. إذا فالاختلاف في محور الاهتمام لكل منهما "من حيث الملاحظة في الاعتبار أن علم اللغة الاجتماعي هي اللسانيات مثلما أن اللسانيات هي علم اللغة الاجتماعي. فلا فرق بين التسميتين من الناحية المعرفية والمنهجية"٤. وذلك بوضع عدم التفرقة في التسميتين حتى في محور الاهتمام.

ثالثًا: "المجتمع يتكون في المقام الأول من الأفراد، وقد اتفق كل من علماء الاجتماع وعلماء اللغة الاجتماعي على ضرورة جعل الفرد مركز الاهتمام الرئيس في هذه الدراسات، حتى لا يغيب الفرد عن بالنا حين نتحدث عن الأحداث والمجردات

---

[1] Raymond Hickey– Language and Society – p . ٢

[٢] علم اللغة الاجتماعي – صـ ٤٧ .

[٣] هدسون – علم اللغة الاجتماعي – ترجمة د : محمود عياد – ١٩٩٠م – الناشر عالم الكتب – صـ١٧ .

[٤] علم اللغة الاجتماعي – مدخل نظري – صـ ١٤ .

واسعة النطاق. فأهمية المتحدث الفرد في علم اللغة الاجتماعي تعادل أهمية الخلية الفردية في علم الأحياء"[1]. فالفرد ذو أهمية بالغة في علم اللغة الاجتماعي حيث يدور محور اهتمام علم اللغة الاجتماعي حول الفرد بعلاقته في المجتمع .

الوظيفة الاجتماعية للغة :

بين دوسوسير أن اللغة ظاهرة اجتماعية تكون الرابطة الاجتماعية، وأنها مستقلة عن أفراد المجتمع الذين يتكلمونها، وبالرغم من عموميتها، فهي غير خاضعة لأي فرد، بل أن كل أفراد المجتمع خاضعون لها. فهي الوسيلة التي يستخدمها المجتمع للتواصل الفعال بين مستخدميها.

وقد توسع علماء اللسانيات الاجتماعية في تحليل ظاهرة التواصل، فلم يكتفوا بالظواهر اللغوية، وإنما تنالوا كل العناصر غير اللغوية، كالإشارات، وملامح الوجه، والضحك، والبكاء ...، واتفقوا على مكونات الحدث التواصلي وهي العناصر التالية:

نوع الحدث : ويقصد به هل هو الحوار ؟ أو محاضرة ؟

موضوع الحدث : ويقصد هل هو موضوع ديني ؟ أو اجتماعي ؟ أم ثقافي ؟

وظيفة أو غرض الحدث : ويشمل الهدف العام من الحدث بكليته ، والوظائف المختلفة لأجزائه، فالحكاية، مثلًا لها في كليتها مغزى عام . كما أن لكل جزء من أجزائها هدف يحقق، بدرجة ما المغزى العام.

المناسبة أو الموقف: وتشمل المكان والزمان، من وقت ويوم وشهر وموسم وسنة، كما تشمل جميع تفاصيل المكان من حجم وأثاث .. إلخ.

المشاركون في الحدث: ويتعلق ذلك بسن المشاركين وأجناسهم ومستوياتهم الاجتماعية والثقافية .. إلخ.

صيغة الرسالة اللغوية: وتتصل بطبيعة الرسالة وهل هي كلام محكي أم مكتوب؟ وتتصل كذلك بالأشكال اللغوية وغير اللغوية كاللغة أو اللغات أو اللهجات المستعملة ... إلخ.

محتوي الرسالة: وتشمل المعاني والمشاعر التي تنقلها الرسالة.

تسلسل الكلام: ويتعلق بالأقوال المختلفة، وبالكيفيات التي يأخذ به المتكلمون أدوارهم، وما إلى ذلك.

---

[1] هدسون– علم اللغة الاجتماعي – صـــ٢٧ .

قواعد التفاعل اللغوي: ونعني به الأعراف والقواعد الاجتماعية التي ينبغي مراعاتها أثناء الكلام. وهي تختلف باختلاف طبيعة الجماعة الاجتماعية أو الثقافة أو أعمار أفرادها ..إلخ.

المفاهيم التي يتم على أساسها تفسير الأقوال وتشمل: المعتقدات وكل ما هو مشترك جامع لأفراد وفئات مجتمع معين، والتي تسمح للفرد تأويل كل ما يسمع به.

يعد اللغوي مارتن جوث Martik joos من أوائل اللسانيين الذين صنفوا الكلام إلى أساليب. وقد اعتمد في تصنيفه على معيار الرسمية Foomalite إذ قسم الكلام ، سواء كان شفويا أو كتابيًا، إلى خمسة مستويات، وهي :

- المستوي الخطابي أو الجامد .
- الأسلوب الرسمي .
- الأسلوب الاستشاري .
- الأسلوب العادي .
- الأسلوب الودي .

أما قيمة علم اللسانيات الاجتماعية فتكمن في قدرته على إيضاح الحقائق اللغوية بصفة عامة مما يسمح لدارسي المجتمعات أن يدركوا أن الحقائق اللغوية بمقدورها أن توسع في مجالات فهمهم لهذه المجتمعات، بالرغم من إقرارنا بصعوبة العثور في خصائص المجتمع لما يشكل حالات تمايزية كافية لتعويض اللغة أو يوازيها أهمية في إثبات ذلك. فيقول كمال بشر: "وفي يقيننا أن علم اللغة الاجتماعي في مقدوره أن يسد هذه النواقص التي عاني منها علم اللغة على فترات مختلفة من الزمن، وفي يقيننا ذلك تابعين في ذلك هدسون أن دراسة اللغة دون الرجوع إلى السياق الاجتماعي جهد لا يستحق العناء, وعلى ذلك فإن استخدام Socio في المصطلح Sociilinguistique يعد نوعًا من الحشو، ومعني هذا أنه يمكن الاكتفاء بالمصطلح العام المشهور: علم اللغة أو علم اللغة العام دون نعته بالاجتماعي، على أن يتولي مسئولية النظرة الاجتماعية للغة في كل مرحلة[1]. وهنا عمم مصطلح علم اللغة الاجتماعي ليشمل كل المسائل الاجتماعية، وكل مراحل دراسة اللغة.

[1] كمال بشر – علم اللغة الاجتماعي – صـ ٦٦:٦٧.

"ويهتم علم اللغة الاجتماعي بدراسة اللغة الإنسانية الطبيعية باعتبارها أداة تواصلية داخل المجتمع، ضمن شبكة من العلاقات التواصلية التي ينخرط فيها الفرد بشكل عفوي وإرادي مع الأشخاص المحاطين به، في مستويات ووضعيات مختلفة. وتصبح اللغة بهذا المعني أداة تواصلية اجتماعية، لا تكتفي بتمرير خطاب معين، بل هي جزء من ذلك الخطاب، بل هي خطاب"[١]. فاللغة هي الأساس الذي يعتمد عليه الخطاب للتواصل الاجتماعي مع الآخرين .

أيضًا "ارتكز ابن خلدون في دراسته للظواهر الاجتماعية على ركيزتين أساسيتان، أولهما إخضاع تلك الظواهر لملاحظات حسية وتاريخية، أو بمعني آخر كان يقوم أولًا بدراسة استطلاعية لتلك الظواهر معتمدًا على مشاهدته واستقراءاته للعديد من تلك الظواهر، أما الركيزة الثانية فتتمثل في العديد من العمليات العقلية التي كان يجربها ابن خلدون على تلك المواد الأولية التي تحصل عليها، وكان هدفه الأساسي من تلك العمليات هو الكشف عما يحكم تلك الظواهر أو يسيرها من قوانين"[٢] .

فقد انصب اهتمام علم الاجتماع الأساسي على البناء الاجتماعي Social structureككل وما يحويه هذا البناء من مكونات، وما يحدث بينهما من علاقات وتناقضات، وما يطرأ على هذا البناء نفسه من تطورات وتغيرات. ذلك لأن الاهتمام الذي يميزه عن غيره من العلوم يتمثل في أنه: يعني بما هو عام، وما هو اجتماعي.

مرتكزات اللسانيات الاجتماعية:

تركز اللسانيات الاجتماعية على تأثير المجتمع على اللغة، بينما تركز اجتماعيات اللغة على تأثير اللغة على المجتمع. وبالتالي تتداخل اللسانيات الاجتماعية إلى حد كبير مع علم التخاطب الإنساني. أيضًا يدرس هذا العلم (لكنة القوم) أي اللهجات ويدرس لسن اللغة بين الجماعات التي تفصلها متغيرات اجتماعية معينه مثل العرق والدين والجنس والمستوي الاجتماعي ومستوي التعليم والعمر وما إلى ذلك. فتعني اللسانيات الاجتماعية بالدراسة الوظيفية الاجتماعية للغة من خلال: دراسة علاقة اللغة بالمتكلمين الناطقين، من حيث السن، الجنس، الفئة الاجتماعية، المستوي المهني، المستوي

[١] عبد الكريم بوفرة – علم اللغة الاجتماعي – شبكة الألوكة – صـ ٣ .

[٢] صلاح مصطفى الفوال – المدخل لعلم الاجتماع الإسلامي –الموسوعة الإسلامية للعلوم الاجتماعية – مكتبة الإسكندرية – دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة – ٢٠٠٠ م – صـ ١٨٧ – نقلًا عن البداوة العربية والتنمية – صـ ٢٠: ٢٨.

التعليمي، المكان الجغرافي، الأصل الاجتماعي ووظيفة المتكلم، مركزه، طبقته، الموقف الذي يتكلم فيه سواء كان رسميًا أم غير ذلك، وسياقات استعمال اللغة، فتتجلي أهمية اللغة في التواصل الاجتماعي، من خلال المستوي الفكري بين فئات المجتمع وتكوينهم الطبقي؛ لذلك نشأت مرتكزات للسانيات الاجتماعية للربط بين اللغة وسياقها الاجتماعي مثل[١]:

- الإطار (المكان، الزمان، أجواء الخطاب).
- المشاركون (الشخصيات الحاضرة والمتفاعلة).
- الأهداف (هدف اللقاء).
- الأفعال (الرسائل).
- الإيقاعات (الصوت، النغمة، إيقاع الرسائل).
- الوسائل المتواصلة (اللغة المنطوقة، اللغة المكتوبة، اللغة المنشودة والمغناة).
- المعايير (المثاقفة، التناص، الحوارية).
- الأجناس أو أنواع الخطاب (الحكايات، التاريخ، الملاحم، المآسي)

إذًا يكون هدف اللسانيات الاجتماعية كبيرًا في رصد الاحتكاكات اللغوية، ودراسة اللغة من كافة جوانبها الاجتماعية، ورصد الدخيل على اللغة من خلال البيئة الاجتماعية. ومن ناحية أخري، لا تدرس اللسانيات الاجتماعية البنيات اللغوية الداخلية فقط, بل تنفتح على البنيات الخارجية المرتبطة بالسياق التواصلي. ومن ثم, تعني اللسانيات الاجتماعية بتطور اللغة في سياق اجتماعي معين، بالتركيز على المتغيرات الصوتية، والفونولوجية، والتغيرات الصرفية، والتغيرات التركيبية، والتغيرات الدلالية، والتغيرات الوظائفية. ومن هنا تهتم اللسانيات الاجتماعية بالتركيب والدلالة على المستوي الداخلي، وبعوامل خارجية لها آثارها الواضحة في تطور اللغة، مثل: العوامل الاقتصادية، والعوامل الديمغرافية، والعوامل الاجتماعية ....إلخ.

[١] عبد الكريم بوفرة ـــ علم اللغة الاجتماعي "مقدمة نظرية" – ص ١٨ .